

أضواء البيان

@ 273 التحقيق . ومنه قول الشاعر : لَا يَبْدُوْنَ عَندهَا حِيولًا { أصله من عدن
بالمكان : إذا أقام به . وقد تقدم في سورة (النحل) معنى السندس والاستبرق بما أغنى عن
إعادته هنا ، والأساور : جمع سوار . وقال بعضهم : جمع أسورة . والثواب : الجزاء مطلقاً
على التحقيق . ومنه قول الشاعر : % (لكل أخي مدح ثواب علمته % وليس لمدح الباهلي ثواب
%) .

وقول من قال : إن الثواب في اللغة يختص بجزاء الخير بالخير غير صواب : بل يطلق الثواب
أيضاً على جزاء الشر بالشر . ومنه قوله تعالى : { هَلْ تُؤبَبُ الكُفَّارُ مَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ } ، وقوله تعالى : { قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ
ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ } . .
وقوله : { وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا } الضمير في قوله (حسنت) راجع إلى (جنات عدن) .
والمرتفق قد قدمنا أقوال العلماء فيه . وقوله هنا في الجنة (وحسنت مرتفقا) يبين
معناه قوله تعالى : { أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرُفَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيُلَاقَوْنَ فِيهَا تحييةً وَسَلاماً خالدينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا } . قوله تعالى : { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لَّنَفْسِهِ قَالَ
مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَآذِهِ أَبَداً } وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَئِن رُّدِّدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا } . ذكر جل
وعلا في هذه الآية الكريمة عن هذا الرجل الكافر الظالم لنفسه ، الذي ضربه مثلاً مع الرجل
المؤمن في هذه الآيات لرؤساء الكفار ، الذين افتخروا بالمال والجاه على ضعفاء المسلمين
الفقراء كما تقدم أنه دخل جنته في حال كونه ظالماً لنفسه وقال : إنه ما يظن أن تهلك
جنته ولا تفنى : لما رأى من حسناتها ونضارتها ؟ وقال : إنه لا يظن الساعة قائمة ، وإنه إن
قدر أنه يبعث ويرد إلى ربه ليجد عنده خيراً من الجنة التي أعطاه في الدنيا . .
وما تضمنته هذه الآية الكريمة : من جهل الكفار واغترارهم بمتاع الحياة الدنيا ، وظنهم
أن الآخرة كالدنيا ينعم عليهم فيها أيضاً بالمال والولد ، كما أنعم عليهم في الدنيا جاء
مبيناً في آيات أخر ، كقوله في (فصلت) : { . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن
هذا الرجل الكافر الظالم لنفسه ، الذي ضربه مثلاً مع الرجل المؤمن في هذه الآيات لرؤساء
الكفار ، الذين افتخروا بالمال والجاه على ضعفاء المسلمين الفقراء كما تقدم أنه دخل
جنته في حال كونه ظالماً لنفسه وقال : إنه ما يظن أن تهلك جنته ولا تفنى : لما رأى من

حسنها ونضارتها ؟ وقال : إنه لا يظن الساعة قائمة ، وإنه إن قدر أنه يبعث ويرد إلى ربه
ليجدن عنده خيراً من الجنة التي أعطاه في الدنيا . . .
وما تضمنته هذه الآية الكريمة : من جهل الكفار واغترارهم بمتاع الحياة الدنيا ، وطنهم
أن الآخرة كالدنيا ينعم عليهم فيها أيضاً بالمال والولد ، كما أنعم عليهم في الدنيا جاء
مبيناً في آيات أخر ، كقوله في (فصلت) : { وَلَئِنَّ أَذْقِنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ دُنَا
مِن بَعْدِ ضَرْبٍ آءٍ مَّسَّتَهُ لَدَيْقُولِنَّ هَذَا لِي وَمَا أَطْنُ السَّاءَةِ
قَائِمَةً وَلَئِنَّ رُّجُوعَتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لَلْأَحْسَنِ } ، وقوله
في (مريم) : { أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالاً
وَوَلَدًا } وقوله في (سبأ) : { وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا
وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } . وقوله في هذه السورة الكريمة : { فَقَالَ لَصَاحِبِهِ
وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } . . .
وبين جل وعلا كذبهم واغترارهم فيما ادعوه : من أنهم يجدون نعمة □ في الآخرة